

أفكار راجحة لأزمنة حرجية: في تثوير مفهوم الأقلية المسلمة

العربي إدناصر
باحث مغربي



قسم الدراسات الدينية

1- استهلال على سبيل التقديم:

ما زال حال العالم الإسلامي اليوم رهيناً بمدى قدرته على إنتاج حلول تتنشل من وحل المشاكل العويصة التي يتخبط فيها منذ انفراطها من قبضة الاستعمار؛ حيث إن التخلف قد أanax بكلكله على مفاصل الحياة العامة لل المسلم المعاصر، وكأن وصف ابن خلدون في حق زمانه، ظل يحدث أثره في حال المجتمعات الإسلامية، حين قال: "وكانما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة".¹

والحال أن هذا الخمول قد أصاب الدولة والمجتمع والإنسان، وأدرك الانقباض قدرات العقل المسلم الذي أرهبه صدمة الحداثة، فانقسم إلى عقل اعتمد بالتاريخ كلية منهجاً مذهب السلفية التي تقطع عن الحلول المستوردة، وإلى عقل ارتمى في أحضان الآخر في كل تفاصيل وجوده المادي والمعنوي.

والمتضرر من كلا العقليين هو الاجتهداد، حيث تنكر له الأول لما نسي أن التاريخ لا يمكن أن يثمر في الحاضر، ما لم يأخذ بسباقات وحيثيات الحاضر والمستقبل معاً، فيما أجحف في حقه الثاني، بينما أحدث قطيعة إبستمولوجية تامة مع كل موروث مراهناً على الفعل بدءاً من الصفر.

ولما اتصل العالم الإسلامي بالعالم الغربي، اشتدت هذه الأزمة بفعل مظاهر الاختلاف والتباين بين الوجودين، وتزداد هذه الأزمة اشتداداً في أواسط المهاجرين الذين استوطنوا بلاد الغرب، فانعكس هذا الفارق على نفسياتهم وشخصياتهم.

وحينما بدأ المفكرون في رأب هذا الصدع، وفي تجديد رسوم الشريعة وتفعيل الوجود المسلم خارج أرضه، كان لزاماً على أعيانهم أن يمارسوا عملية الاجتهداد في اتجاهين: اتجاه الإمتثال المتمر من التراث الفقهى، واتجاه الإفادة من معطيات العصر، نظراً لدقة المجال التداولى الذي يبحث هؤلاء لأجله، ونظراً كذلك لصعوبة المواءمة بين النصوص والواقع، وبين الماضي والحاضر، وبين التنظير والتزيل.

فما زال كثير من الإشكالات التي لها علاقة بما هي الاجتهداد تعوق مسيرة العقل المسلم، من قبيل الحديث عن شروطه في زمن التخصص العلمي، وانفجار المعرفة وثورة المعلومات، والاجتهداد بين المؤسسة والفرد الموسوعي، وأفاق الاجتهداد في علاقته بالمذهبية الفقهية من جهة وبمقاصد الشريعة وأسرارها من جهة أخرى.

وهذه الأسئلة والقضايا أشد ما تنعكس على نوازل العصر، والتي يتتأكد إلحاحها مع فتح جسور التلاقي الفكرى، وانتشار ظاهرة الهجرة من وإلى الغرب.

¹- مقدمة ابن خلدون، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر: ضبط المتن ووضع الحواشى والفالرس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 2001/1421، المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهب والإمام لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها، 43/1

فالاجتهاد كما هو معروف عند القدماء والأصوليين صعب المنال وممتنع التحصيل؛ فهو متقل من خلال الشروط العلمية التي بها تقيد عملية الاجتهاد، حتى تكتسب الشرعية الدينية التي تؤهلها للبت في النوازل والحوادث التي تطرأ في واقع الناس.

والحاصل أن تلك الشروط التي تمس جوانب عدة من الثقافة الإسلامية، من علوم القرآن والسنة والفقه والأصول واللغة بضاف إليها معرفة الواقع، يستحيل أو على الأقل يصعب الإلمام بها واستيعاب مقتضياتها بالكامل، لأن المعرفات تتعدد وتتطور باستمرار، مما يقلل من حظوظ إيجاد عالم موسوعي مستكملاً لمختلف مكونات الثقافة الإسلامية.

وهذا المعطى الموضوعي يجر إلى الحديث عن الاجتهاد المؤسساتي الذي تضطلع به مراكز البحث والدراسات المتخصصة، التي تتكون من خبراء وعلماء في شتى المجالات العلمية المتعددة، فيكون الاجتهاد على إثرها جماعياً ومؤسسياً لا يقتصر على علماء الشريعة وحسب، بل يتجاوزهم إلى اعتماد آراء واقتراحات الكفاءات العلمية في حقول الاجتماع والاقتصاد والإدارة والسياسة والقانون والطب وسائر فنون المعرفة الإنسانية.

إن هذا العقل الجمعي أنساب ما يكون لحل مشاكل العصر، وبإمكانه الحد من فتنان الفتاوى الذي يكتسح الساحة الإسلامية والمنابر الإعلامية، و يجعلها على فوهة بركان وصراع طائفي، قد يصل إلى افتتاح غير مبرر واعتداء على الأنفس والأعراض والأموال، وفوق ذلك، فإنه يؤهل لانطلاق الراسد إلى تدبير الاختلاف الفكري والسياسي، وإلى التعايش السلمي بين أبناء العقائد المختلفة والمختلفة.

كما يجب التنبية على أن الاجتهاد، لا ينبغي أن يقتصر على مذهب دون آخر، أو على طائفة دون أخرى، بل يشمل ذلك كل المذاهب القديمة منها والحديثة المتبقية والمندثرة، من خلال عقل يستوعب جميع الأفكار وينفتح على كافة الأنظار، باعتماد النصوص القرآنية والنبوية منطلق كل اجتهاد، وجلب المصالح ودرء المفاسد غاية كل عمل.

ووفق هذه المنهجية، يكون بالإمكان الاستفادة من تراث الأمة في مجموعه، كما يتيح للعقل المسلم أن يأخذ من معارف عصره وابتكاراته، ويسمى فيها دون مركبات نقص أو خجل، فيتجاوز ثنائيات الأصالة والمعاصرة، والعقل والنقل، والنص والمصلحة، والأنا والآخر، إلى المسارعة في بناء الحضارة الإنسانية على أساس العدل والرحمة والمساواة، ويحقق شروط الاستخلاف والشهود في العالم.

2- فقه الاغتراب من عارض الهجرة إلى سؤال الأنسنة:

ما زال كثير من الأحكام التي تتعلق بالسياسة الشرعية وبأوضاع سياسية وثقافية معينة أسهمت في إنتاجها، هي التي تؤطر الدراسات التي تنظر لأحكام الأقليات المسلمة في الغرب، وصار تقسيم العالم بين دار الحرب ودار الإسلام مهيمنا على الفكر الفقهي القديم والحديث.

وكلها أدبيات تعكس الإسلام بصورة ضيقة جداً تفتر الناس، أو تقدم الإسلام بصورة ساذجة تدعى حل مشكلات العالم بعصا سحرية، أو تعكس الإسلام على أنه مجموعة من القيود التي ت Kelvin الحياة من غير سبب ولا هدف، بل إن وضع المسلمين بالغرب تحكمه أحكام ظرفية وعرفية ومذهبية، ولا تنظر إلى الوجود المسلم بوصفه قيمة مضافة وإيجابية يمكن أن تستدر منها المكاسب والمصالح الشرعية، بقدر ما جثمت على كاهله أحكام الفتنة والابتلاء والكراء والتحذير، إن لم توجد فتاوى تحرم أصلاً للهجرة إلى هذه الأماكن والإقامة فيها، لأسباب فقهية وسياسية هي في المحصلة اجتهادات لا ترقى إلى حجم التحديات والتطورات النوعية التي يعيشها العالم وحال المسلمين بالخصوص، كما ينبغي أن ندرك النسبية المكانية والزمانية للتطبيقات التي أنتجها ذلك الانتماء الثقافي.

ما يستدعي تضافر الاجتهاد وتقليل النظر وتوسيع آفاق البحث والتقصي في وضع لا يمت بصلة بأوضاع المسلمين قديماً، في إطار عالمية الإسلام وشمول رحمته للخلق أجمعين، يعزز فيه المسلم بانتمامه الثقافي بما جسور التعارف مع الآخر المخالف، وعمقاً أواصر التفاهم لنسج علائق إنسانية تحفظ قدراً من الخصوصيات الثقافية، وتحدد خطوط التماส والاشتراك بينهما.

والنشاط السياسي الذي يتبعيه الإسلام نشاط تمكين لذوي القربي المسلمة، ثم انفتاح على هموم الفئات الأخرى من الملل المغایرة له، لإرساء قواعد العدل والإنصاف وتحكيم نظم الرحمة والتواشج العالمي.

ولم يكن قصد الدين تكثير الأعداد ولا تغيير المظاهر، بقدر ما سعى إلى تهيئة الأنفس نحو بلوغ المعالي وتقريب الأمالي والأمانى لعلوم البشرية أينما كانوا، وبالأسالة فدعوتـه بلـاغ مـبين مـوجه إلى مـطلق الإـنسـان لـتـستـبـين سـبـلـ المتـقـينـ منـ المـفسـدىـنـ، وـتـنـمـيـ آثارـ الـكـراـهـيـةـ وـالـعـنـفـ بـأـفـكـارـ عـولـمـيـةـ إـلـهـيـةـ تـنـبـضـ إـحـسـاسـاـ بـآـلـامـ إـنـسـانـ العـالـمـ مـضـمـومـاـ إـلـىـ أـخـيـهـ إـلـيـهـ إـنـسـانـ مـهـماـ تـعـدـتـ طـرـائـقـهـ وـاخـتـالـتـ أـسـنـتـهـ.

في ظل هذه النفحات، ندرك مدى ترابط أطراف هذا العالم، وعافيته تتأتى بسلامة مجموع أقطاره ولو بعد المسافات، ومصالح أقلية يجب أن توضع في إطار مصالح الكل الذي تقاسم معه المكان والزمان، ووضع الأقليات المسلمة الموجودة في غير بلاد المسلمين أولى أن يتفاعل مع هذه الأحساس.

فالمسلم الذي لا تحد رسالته حدود الجغرافيا والتاريخ، لا يرضى أن يكون أقل من أمة الرحمة للعالمين، حتى لا يحصر نفسه في كيان صغير أو انتماء طائفي منعزل ومنغلق على تحقيق مكاسب ذاتية على حساب رسالته الضاربة في جذور التاريخ والموغلة في عمق الكونية والخلود.

إن فهمنا الجيد واللائق لأوضاع المسلمين المقيمين بالغرب سيسمهم في فعالية هذه المجموعة وتحفيز ديناميتها، لأنها لا تفتّ تسبق وفوداً جديدة من المهاجرين الآفاقيين الذين يحتاجون إلى الاندماج الإيجابي في المهجـر، لذلك فإن تمكن المسلمين في الأقاصي يقوـهم في وجودـهم وفي عطائـهم تجاه أنفسـهم، ولأجل قضـايا تعود بالفعـل على عامة الناس.

لذلك، فإن البحث في قضـايا المسلمين المغتربـين ليس بالأمر الهين، لا سيما في وضع دولـي شائك ومعقد للقضـايا، وينضاف لهـذا الأمر شـح المـادة العلمـية التي يـحتاجـها البـاحـثـ في النـظرـ إلى مشـكلـاتـ هـذا الـوـاقـعـ، وـحتـىـ ماـ هوـ مـوجـودـ فهوـ مـلـيءـ بـالـأـحكـامـ التـيـ لـاـ تـلـائـمـهـ، وـيـؤـديـ تـطـبـيقـهاـ إـلـىـ حـرـجـ كـبـيرـ وـإـسـقـاطـ مـجـفـ فيـ حـقـ المـغـتـرـبـينـ، كـمـاـ أـنـ المـنهـجـيـةـ المـطلـوـبـةـ فيـ تـحلـيلـ قـضـاياـ المـغـتـرـبـينـ تـحـتـاجـ إـلـىـ توـسيـعـ المـدارـكـ المـيدـانـيـةـ وـالـنظـريـةـ لـكـيـ تـسـتـخلـصـ مـنـهـاـ روـيـةـ فـقـهـيـةـ وـحـيـاتـيـةـ تـكـفـلـ لـهـؤـلـاءـ عـيشـاـ كـرـيمـاـ وـوـضـعـاـ مـمـيزـاـ.

وـحـقـيقـةـ لـابـدـ مـنـ إـعادـةـ النـظـرـ فيـ جـملـةـ مـنـ الـأـحكـامـ وـالـمـوـاـقـفـ التـيـ لـازـمـتـ العـقـلـ الفـقـهـيـ حتـىـ صـارـتـ فـيـ مـقـابـلـ النـصـ، وـهـيـ حـتـمـاـ اـجـتـهـادـاتـ عنـ قـائـلـيهـ لهاـ حـظـ منـ النـظـرـ إنـ أـصـابـتـ أوـ أـخـطـأـتـ، فـقـدـ شـهـدـ النـصـفـ الثـانـيـ مـنـ الـقـرنـ الـمـاضـيـ - أيـ بـعـدـ نـهـاـيـةـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الثـانـيـةـ - بـرـوزـ مـاـ سـمـاهـ الـبعـضـ ظـاهـرـةـ إـسـلـامـيـةـ جـديـدةـ فـيـ الـعـالـمـ الـغـرـبـيـ تـنـتـلـعـ بـولـادـةـ مـجـتمـعـ مـسـلـمـ آـفـاقـيـ بـفـعـلـ الـهـجـرـةـ²ـ، وـهـذـهـ الـظـاهـرـةـ تـسـتـحـقـ مـنـ الـعـنـيـةـ الـكـثـيرـ، وـتـحـتـاجـ مـنـ النـظـرـ وـالـاسـتـلـهـامـ مـنـ النـصـوصـ قـدـراـ إـضـافـيـاـ يـرـاعـيـ نـواـزلـ الـعـصـرـ وـتـحـديـاتـهـ.

فـالـمـوـاـقـفـ الـفـقـهـيـةـ التـيـ تـكـرـرـ وـاقـعـ الـقطـيعـةـ معـ الـمـخـالـفـ فـيـ الـمـعـنـقـ تـحـتـ عـنـاوـينـ شـتـىـ، كـأـحكـامـ دـارـ الـحـرـبـ وـأـحكـامـ أـهـلـ الذـمـةـ وـالـمـسـتـأـمـنـينـ، قـدـ لـاـ تـلـائـمـ تـطـورـ الـعـلـاقـاتـ الدـوـلـيـةـ التـيـ تـحـتـمـ تـكـتـلـاتـ مـعـيـنـةـ بـحـسـبـ التـغـيـراتـ الـجـيـوـ سـيـاسـيـةـ، وـتـقـيـمـ الـعـضـوـيـةـ دـاخـلـ الـبـلـدـ عـلـىـ موـاصـفـاتـ الـمـوـاـطـنـةـ وـقـوـانـينـ الـهـجـرـةـ وـالـإـقـامـةـ، هـذـاـ فـضـلاـ عـنـ رـسـالـةـ إـسـلـامـ الـعـالـمـيـةـ وـكـوـنـيـةـ الـخـطـابـ إـسـلـامـيـ فـيـ تـوـجـهـهـ إـلـىـ عـمـومـ الـنـاسـ.

وـمـنـ هـنـاـ يـجـدرـ بـحـثـ الـعـلـاقـةـ مـعـ الـآـخـرـ وـفـقـ معـطـيـاتـ الـوـاقـعـ إـسـلـامـيـ فـيـ إـطـارـ وـجـودـهـ الـعـامـ دـاخـلـ خـرـيـطةـ الـحـضـارـةـ إـلـيـانـيـةـ، بـمـاـ يـرـسـخـ أـكـثـرـ أـسـبـابـ التـاخـيـ وـالـتـعاـونـ، فـلـيـسـ كـلـ الـغـرـبـيـنـ مـرـشـحـوـنـ لـقتـالـ الـمـسـلـمـينـ دونـ مـبـرـرـ، وـلـيـسـوـاـ سـوـاءـ فـيـ مـعـاملـتـهـمـ لـلـمـسـلـمـينـ، وـهـمـ مـنـ يـحـضـنـهـمـ لـمـاـ ضـاقـتـ بـهـمـ السـبـلـ فـيـ أـوـطـانـهـمـ، وـلـطـالـمـاـ عـبـرـ

² يقارن بما سطره محمد حمدي زقروق، في كتابه الإسلام والغرب: مكتبة الشرق الدوليّة بالقاهرة، ط/1426-2005، ص 159

العقلاء منهم عن قيمة التراث الإسلامي في بناء ورفد الكيان البشري بما يهيئ له ما يصلح لقيمه على مقومات العدل والكرامة والحرية على الدوام.³

ولعل من المفيد أن يكون الحديث الآن عن مقاصد الهجرة كإطار معرفي جديد ينمّي الشعور بالواجب الأخلاقي تجاه العالم، ويبث القيم النافعة في ربوع الكون، ويحصل انتشار الناس في أصقاعه على أوسع نطاق وتحت سقف الحرية، تلبية لدعوة القرآن: {يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فليأبكي فاعبدون}.

فالملقى في بلد مسلم دون البحث عن أماكن أخرى من القرية الصغيرة، بناء على أن الهجرة منقطعة بعد الفتح⁵، ليس من مقاصد الشريعة في شيء، لأن ذلك من قبيل كتمان الحق وأدلة الدين الخاتم، وليس على المسلم سوى هداية بيان لا هداية توفيق، كما أن الدعوة مفهوم مرن، يشمل العقائد والأخلاق وسائر قيم التعاون على البر والتقوى التي تعزز كرامة مطلق الإنسان أينما كان.

وقد ساعد الوجود الإسلامي في الغرب بعد أن تحولت الهجرة من قضية أفراد إلى قضية أسر على انتظام المهاجرين في تركيب اجتماعي موحد ومتكملاً، حتى صاروا عنصراً ديمغرافياً أساسياً في بلدانهم الثانية، ثم برز الجيل الثاني والثالث اللذان نشأا هناك وأصبحا جزءاً من النسيج الاجتماعي وواقعوا معترفاً به لدى الدوائر الحكومية.

وحينها لم تعد الأسئلة المقلقة ترتبط بهموم الإقامة والعمل بالمهجر، بل تعدت ذلك إلى أسئلة التجنيس والحصول على العضوية الكاملة داخل الدولة غير المسلمة؛ فهذا الوضع يعطي امتيازات مضافة تتعلق بحق المواطنة، وتقدم قوة مادية ومعنوية من قبيل الحقوق السياسية والمدنية وغيرها.

لكن ذلك قد يحتاج إلى اجتهاد جديد ونظر بصير؛ فالمكتسبات قد تجر الإكراهات كما تجر الحقوق الواجبات، ولعل ضخامة هذه الأسئلة تكبر حيناً بعد حين في فترة ما بعد أحداث 11 سبتمبر، والتي هزت أركان الولايات المتحدة الأمريكية وانعكست آثارها المؤلمة على العالم الإسلامي، وكان من سماتها الكبرى تشويه صورة الإسلام في أذهان الغربيين. أما صورة المسلمين، فهي أصلاً مشوهة بسببهم أو بغيره، والواقع أن

³ وقد صرّح السيد روبين كوك وزير الخارجية البريطاني الأسبق بأن: "جنور ثقافتنا (يقصد في لندن) ليست يونانية أو رومانية الأصل فحسب بل هي إسلامية أيضاً" وأضاف بأن: "تفاقتنا مدينة للإسلام بين يحدّر بالغرب إلا ينساه"، نقلًا عن المرجع السابق: ص 193. وفي السياق ذاته، عبر الأمير تشارلز (ولي عهد بريطانيا) عن قوله إزاء تآزر العلاقة بين الإسلام والغرب، ويقرّر بأن: "الذي يربط بين عالمنا أقوى بكثير مما يقسّمنا، فالمسلمون والمسحيون واليهود جميعهم أهل كتاب، والإسلام وال المسيحية يشتراكان في النظرة الوحدانية: الإيمان بالله واحد وبأن الحياة الدنيا فانية، وبالمسؤولية عن أفعالنا، والإيمان بالآخرة. إننا نشتراك في الكثير من القيم: احترام المعرفة، والعدل، والرأفة بالفقراء والمحروميين، وأهمية الحياة العائلية، واحترام الوالدين...، المرجع نفسه: ص 182-181.

⁴ الآية 56 من سورة العنكبوت.

⁵ للعلامة أبي العباس الوشريسي فتوى مفصلة جواباً عن سؤال أحاله عليه الفقيه عبد الله بن قطيبة، وكانت عن هجرة أهل الأندلس من بلددهم وأموالهم إلى دار الإسلام بالمغرب، التي صاحت بهم فندموا على هجرتهم تلك، فأفتاه الوشريسي بوجوب مغادرة الأوطان غير المسلمة، وأن حرمة المكوث في دار الكفر موبدة، ينظر المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب: خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ودار الغرب الإسلامي بيروت، 1981-1401، 119/2 إلى 132

وجودهم صار مهدداً بفعل الخدع والمآمرات التي تلتف هنا وهناك، ويقع ضحيتها الأبرياء وتضيع جراءها الحقوق المكتسبة، فيبدأ البناء من جديد ويغيب التراكم.

ولعل فريدة الإرهاب التي أصقت بالإسلام هي أكبر عائق في استعادة صورته المشرقة، وبفعل الإرهاب صار كل ما يتعلق به مستهدفاً، حتى صارت الحرب على المسلمين مبررة عادلة لا تقف عند الحدود الإنسانية والأخلاقية.⁶

وأمام هذه التحديات المباغنة، يتquin تحديد الخطاب الإسلامي وتحييئه بدل الانغلاق على الذات، ولابد من مراجعات واسعة تهم بعض الأسس الفكرية التي تأسر العقل عن الانطلاق وتعيق حركة الاجتهد والتجدد.⁷

ويبدو أن إعمال فقه المصالح لمن فقه واقع الأقليات المسلمة في الغرب، به يأخذ التعامل مع القضايا الجديدة أشكالاً من المرونة والرحابة والسرعة، كما تراعى الأولويات أولاً بأول، وتقدم الأصول على الفروع، وتؤخذ الظروف والأحوال بعين الاعتبار، وي العمل بالخفيف والتيسير بدل التشديد والتعسّير، ويحل التبشير محل التنفيذ، فلا يضيع الدين ولا المدينين.

ولابد لفقه الأقليات أن يؤصل بأصول فهم النص تراوح بين الانتقاء من الأصول القديمة، وبين إنشاء أصول جديدة ترجع إلى مقوله فهم أو فقه الواقع، التي تستدر فواعدها من الثقافة العالمية، وتنطلقها وسائل التعليم والإعلام الحديثة وتصوغ مضمونها روئي ومنهجيات العلوم الاجتماعية المعاصرة.

وفوق هذا يجب أن تسهم الثقافة الإسلامية في تقديم الحلول الناجعة لمشاكل الحضارة الغربية، وألا تبقى محصورة في أبناء العقيدة الإسلامية، وهذا ينعكس حتى على الأقليات المتواجدة في بلاد المسلمين التي يجب أن تحظى بحقوق جديدة غير التي كانت من قبل، لربح علاقات جيدة مع الدول الأخرى التي فيها رعايا دول مسلمة، عند ذلك يستطيع التراث الإسلامي أن يدخل إلى قلب القوانين والمواثيق الدولية التي تحمي الأقليات من الإقصاء والاضطهاد.

⁶ - الغريب في الأمر أن متلقين في أمريكا، وقعوا ببياناً يساندون فيه الحرب التي تخوضها بلادهم، تحت عنوان "من أجل ماذا نحارب؟"، وقد وصل عددهم إلى ستين وضمّنهم كبراؤهم: فرنسيس فوكوياما وصمويل هنتنتون وأخرون.

⁷ - يعتقد المفكر السوري رضوان جودت زيادة، أن: "سؤال التجديد لدى الخطاب الإسلامي المعاصر اليوم أصبح بلا شك مسألة وجودية، إنها مسألة حياة أو موت، فإذا لم يتمكن من جلو الصدى على مفاصله التي تكلست واهترأت، فإنه لن يستطيع أن يسمم في صنع العالم فكريًا وثقافياً، وإذا لم يخرج من عزلته إلى رحاب المعرفة الإنسانية، فإنه سيقى بغير مقواته التي ماقت يكررها ويعيدها منذ عقود"، سؤال التجديد في الخطاب الإسلامي المعاصر: دار المدار الإسلامي بيروت، ط1/2004، 14-13.

3- خلاصات وآفاق .. من أجل استئناف النظر:

لا أبتغي في هذه الخاتمة أو الخلاصة أن أختتم، بل لأبدأ من جديد، من خلال فتح كوة على آفاق هذا الموضوع المتراحمي الأطراف، وقد لاح في الأفق أن آفاقه لم تنته بعد، فأود أن أضع بعض الاستنتاجات التي تم خضت عن المقال، إتماماً للفائدة، وهي كالتالي:

- الاجتهاد المصلحي موضوع مرن وشيق يغري بالبحث لكن تحفه مخاطر عده، بدءاً بغرابة المصطلح داخل بعض الأوساط الفكرية التقليدية.
- فقه المصالح باب واسع وحيوي للإبداع الفكري والارتقاء العملي بشؤون الأمة الإسلامية والإنسانية في كافة المجالات.
- الاجتهاد المصلحي لا يتوقف عند المسطور في الكتب ولا عند ما خلفه الأولون، بل يتعداه ليحتم استئناف النظر وتجديد الفهم والخطاب تنظيراً وتنزيلاً.
- الدراسات والأبحاث المعاصرة التي تعنى بقضايا الاجتهاد، لا تجعل من الاجتهاد موضوعاً متجدداً ولا قابلاً للنقد والمراجعة والتحيين، وهذا في حد ذاته سد لباب الاجتهاد وانغلاق على الماضي.
- الوجود المسلم في الغرب مكتسب حضاري، وليس نكسة أو ضعفاً يجب أن يزول، لأن النتائج قد لا تظهر ناصعة في الآماد القريبة، ويكتفي أن الهجرة إلى الغرب عززت الشعور الإسلامي داخلياً وخارجياً بعد سبات طويل وعصيب، ونمّت أسئلة الوجود في هذا العالم.
- فقه الأقليات ليس هو أبواب أهل الذمة والكافر والمستأمنين وغيرها التي تزخر بها المدونات الفقهية، بل هو أبعد من ذلك وأكثر؛ فالفقه وحده غير كاف ما لم يعزز بالدراسات الميدانية التي تهتم بجوانب الحياة المختلفة.
- المقاربات والمفاهيم التي تميل إلى القطعية مع الغرب لا ينبغي أن تتعكس كلها على علاقتنا مع الآخر المختلف في المعتقد، بل يجب أن تأخذ المصالح المتغيرة والحيوية حقها من النظر، حتى لا ننقطع عن العالم، ونحن مأمورون بالإصلاح فيه قدر الإمكان.
- الآخر مهما كان مختلفاً معنا ثقافياً هو جزء من كياننا الاجتماعي؛ فهلاكه من هلاكنا وسعادته من سعادتنا، فالناس إما نظير لك في الخلق أو نظير في الدين.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com